قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما الدَّليل على تفاضل أهل الإيمان فيه؟

ج: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ إلى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾[الواقعة].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١﴾[الواقعة].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر:٣٢] الآيات.

وفي حديث الشَّفاعة: «أَنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ نِصْفُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ».

وفي روايةٍ: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنَّ أهل الإيمان يتفاضلون فيه - فيما سَبق عند بيان حقيقة الإيمان -، أورد هاهنا سؤالًا يتعلَّق بتحقيق الدَّليل في ذلك؛ فقال: (ما الدَّليل على تفاضل أهل الإيمان فيه؟).

وسبق أن عرفتَ أنَّ تعبيرهم بـــ(التَّفاضل) قُصِد به إثبات وجود الفضل لكلِّ مَن عنده حظٌّ من الإيمان؛ فاختلافُهم في أقداره لا يُطلَق عليه (التَّفاوت) لإثبات مُطلَق الاختلاف؛ وإنَّما يُعبَّر عنه بـــ(التَّفاضل)؛ لإثبات أنَّ كلَّ قَدْرٍ حازه أحدٌ منهم له فضلٌ وشرفٌ وحُرمةٌ، وبه ثبتت نسبة صاحبه إلى الإيمان [١].

وأشار المصنِّف إلى هذا المعنى في «سلَّم الوصول» بقوله:

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ... هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

وأورد الآيات مِن سورة الواقعة؛ وفيها ذكر السَّابِقِين وأصحاب اليمين، وقد دُلَّ على تَفاضلِهم في الإيمان بتفاضلِهم في الجزاء؛ فإنَّ لهؤلاء حظٌّ من التَّقريب والرَّوْح والرَّيحان، ولأولئك غيرُه؛ فدَلَّ تفاضلهم فيما صار لهم مِن الجزاء على أنَّهم مُتفاضِلون فيما اسْتحقُّوا عليه هذا الجزاءَ؛ وهو ما كانوا عليه من إيمانٍ.

ثمَّ أتبعه بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾[فاطر:٣٢]) الآية [٢].

وهذه الآية أصلٌ في قِسمة عباد الله؛ فلا ينبغي إطلاق القول فيها بأنَّها قسمةٌ

---

(١) وإنَّما أورد المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا السُّؤال لأنَّ من المتكلِّمين في الاعتقاد من القائلين بالزِّيادة والنَّقص مَن يقول: (إنَّ أهله في أصله سواءٌ، وإنَّما التَّفاضل بالأعمال الَّتي يُثابون عليها)، فأراد أن يبيِّن أنَّ أهل الإيمان مُتفاضِلون فيه أصلًا وفصلًا، بحسب ما يكون في قلوبِهم، وما يترتَّب من الجزاء على أعمالهم. [شرح برنامج التعليم المستمر].

(٢) ولو ابتدأها المصنِّف بقول الله تَعَالَىٰ فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[فاطر:٣٢] لَكان أبين. [شرح برنامج التعليم المستمر].

للمؤمنين؛ فإنَّ الظَّالم لنفسه لا يدخل في اسم (المؤمنين) المُطلَق؛ أشار إلى هذا المعنى ابن القيِّم في «طريق الهجرتين».

وهذا التَّقسيم مختصٌّ بأمَّة محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ذكره ابن تيميَّةَ الحفيد في كتاب «الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان».

وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ عباده في هذه الأمَّة ثلاث مراتبَ:

- **المرتبة الأولى**: السَّابق بالخيرات.
- **والمرتبة الثَّانية**: المقتصِد.
- **والمرتبة الثَّالثة**: الظَّالم لنفسه.

واختلاف هذه المراتب دالٌّ على تفاضُل أهلها في الإيمان؛ **فإنَّ منازلهم تبايَنت لتفاضُل إيمانهم:**

- **فالسَّابق بالخيرات** هو مَن جاء مِن الدِّين بما بَرِئت به ذمَّته، وسقط عنه الطَّلب وزيادة.
- **والمُقتصِد** هو الَّذي جاء مِن الدِّين بما بَرِئت به ذمَّته وسَقط عنه الطَّلب.
- **والظَّالم لنفسه** هو مَن جاء مِن الدِّين ببعض ما بَرِئت به ذمَّته وسقط الطَّلب عنه وتَرك بعضًا.

وهذا الضَّابط أظهر ما يُقال في بيان تفاوُت مراتبهم؛ فإنَّ أهل العلم اتَّفقوا على أنَّ هذه المراتب متفاوتةٌ، ثمَّ اختلفوا في بيان ما يتحقَّق به هذا التَّفاوت؛ فلهم عباراتٌ متنوِّعة مأثورةٌ من العهد الأوَّل للرَّعيل المتقدِّم في صدر الأمَّة ممَّا هو مرويٌّ في كُتب التَّفسير المُسندة، ثمَّ تكلَّم فيه مَن تكلَّم؛ كابن تيميَّةَ الحفيدِ، وصاحبه أبي الفِداء ابن

كثيرٍ، وأبي عبد الله ابن القيِّم، ثمَّ مَن تأخَّر؛ كأبي عبد الله بن سِعدي.

وأحسن ما يمكن به التَّمييز بين هذه المراتب الثَّلاث هو الَّذي ذكرناه.

وكلُّ تلك العبارات المأثورة مِن الصَّـدر الأوَّل من التَّابعين فمَن بعدهم إلى يومنا هذا وإن اختلفت، فإنَّها تدلُّ على إثبات أنَّ هؤلاء متفاضـلون في إيمانِهم؛ لتفاوُت مراتبهم ومنازلهم.

ثمَّ ذَكر المصنِّف الأحاديث الواردة في الشَّفاعة لِمن يُخرَج مِن النَّار ويُدخَل الجنَّة، **وأنَّ النَّاس يتفاوت ما في قلوبهم:**

- فمنهم مَن في قلبه من الخير ما يَزِن شعيرةً.
- ومنهم ما يَزِن بُرَّةً.
- ومنهم ما يَزِن ذَرَّةً؛ وهي النَّملة الصَّغيرة.
- ومنهم مَن في قلبه وزن دينارٍ.
- ومنهم مَن في قلبه وزن نصف دينارٍ مِن الإيمان.

وهذه الأقدار تدلُّ على تفاضُـل أهل الإيمان فيه؛ فإنَّ الدِّينار في وزنه ليس كنصـف الدِّينار؛ فالدِّينار التَّامُّ أثقل وزنًا مِن نصـف الدِّينار، وقُل مِثل هذا في اختلاف وَزن الشَّعيرة، والبُرَّة، والذَّرَّة.

ففي هذه الأحاديث إثبات تفاضل أهل الإيمان فيه بما يكون في قلوبِهم مِن حقائقه.

وهذا المُقرَّر في علم الاعتقاد - ممَّا يتعلَّق بزيادة الإيمان ونُقصـانه، وتفاضـل أهله فيه - ينبغي أن يكون وازعًا لِمن أدرَكه بأن يطلب زيادة الإيمان بكثرة الطَّاعات، وأن يحذَر نُقصـانه بمجانبة الذُّنوب والمعاصـي، وأن يعلم أنَّ منزلته عند ربِّه على قَدْر ما

يحوزه من الإيمان، وأنَّ النَّاس إذا تفاضلوا في شيءٍ مِن الدُّنيا يفوق فيه بعضُهم بعضًا بمالٍ أو جاهٍ أو رئاسةٍ أو منصبٍ؛ فإنَّ المقام الأعظم في منازل التَّفاوت المختلفة هو مقام الإيمان، وأنَّ أكرمَهم منزلةً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو مَن عَظُم حظُّه من الإيمان.

فعَقْلُك هاتين الحقيقتين - أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ أهله متفاضلون فيه - ينبغي أن يحملك على طلب زيادة الإيمان، ويحجزك عن الوقوع فيما يُنقصه، وأن يحملك على بذل الجُهد في طلب الصُّعود في مراتبه؛ حتَّى تكون مِن أفضل النَّاس فيه[1].

---

(١) وهذان السُّؤالان - وهما السُّؤال المتعلِّق بزيادة الإيمان ونقصه، وما لَحِقه من بيان تفاضل أهل الإيمان فيه - يُوجِب العلمُ بهما أن يحرصَ طالب العلم على أن يكون في أعلى هذه المراتب، وأن يَتمثَّل السَّبيلَ المُفضِيةَ به إلى زيادة إيمانه؛ فإنَّ الإيمان يزيدُ وينقُص، والمرءُ يُقبِل على ربِّه ويُدبِر.

فلا بُدَّ مِن ملاحظة قلبكَ، ومراقبة حَركاتك وسَكَناتك؛ لتطمئنَّ على زيادة إيمانك.

فإنَّ نُقصان حظِّك من الإيمان الكامل أشدُّ - في سوء عاقبتِه - من نُقصان حظِّك من دنياك.

وقد يغتمُّ المرء ويهتمُّ إذا فاته شيءٌ من حظِّ الدُّنيا - فأُنقِص عليه بَدَلٌ، أو حُرِم من زيادةٍ يستحِقُّها -، وهو يَتلطَّخ في يومه ونَهاره بقاذوراتٍ من الخطايا تُنقِص إيمانَه، ثمَّ يمرُّ عليها لا يَأْبه بها!

والمؤمن ينبغي له أن يكون ناظرًا دَومًا إلى خطيئته، جاعلًا لها بين عينيه، يَستحِثُّ بِها مَرْكَب رُوحه للازدياد من الخير، وأن ينسى حَسناته؛ فإنَّ العبد ربَّما دَخل الجنَّة بسيِّئةٍ، وربما دَخل النَّار بحسنةٍ؛ كما قال سعيدُ بن جُبيرٍ وغيرُه: «إنَّ العبدَ ليعمل الحسنةَ فيدخل بِها النَّارَ، وإنَّ العبد ليعمل السَّيِّئة فيدخل بِها الجنَّةَ».

قال أبو العبَّاس ابن تيميَّةَ وتلميذُه ابن القيِّم في تفسير كلام السَّلف الوارد في هذا: (ذلك أنَّ فاعلَ الحَسنة فَعلها فبَقيت بين عينيه، يَمُنُّ بها على ربِّه ويستعلي على خَلق الله عَزَّوَجَلَّ، فزَخَّت قَفاه إلى

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما الدَّليل على أنَّ (الإيمان) يشمل الدِّين كلَّه عند الإطلاق؟

ج: قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ وَفْدِ عبد القَيْسِ: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ**

جهنَّمَ، ومُواقِع السَّيِّئة بقي يلاحظها يخافُ أن يؤاخذه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها، فرحمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأدخله الجنَّةَ).

ودراسة العقائد لا يُراد بها مجرَّد المعلومات، ولكن يُراد بها الوصول إلى الحقائق الإيمانيَّات؛ الَّتي تَستحثُّ خُطَانا، وتُصحِّح خَطَانا، وتُقرِّبنا إلى ربِّنا، وتَحمِلنا على الاجتهاد في تكميل عبوديَّتنا.

فإنَّ العلم إن لم يُقرِّبنا إلى الله فلا منفعةَ منه، وإذا كان حظُّنا منه الجاهُ والرِّئاسة والمَنصب والمال فهو وبالٌ وشرٌّ.

وإنَّما يُمدَح العلم بقدر ما ينفعُ ويرفع عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأعظم ما يُقرِّبك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: عِلمُ الحقائق الإيمانيَّة، المعروف باسم (الاعتقاد) عند المتأخِّرين.

لكن لمَّا كان درسُه مقتصِرًا على بيان المعلومات، دون ملاحظة ما وراء ذلك من الحقائق الإيمانيَّة؛ صار المرء يتكلَّم في نقصان الإيمان وزيادته وتَفاضل أهله، ولا يُحدِث ذلك في قلبه تغيُّرًا، ويَعْرِض لعذاب القبر ونعيمه فلا يُحرِّك فيه ساكنًا، ويتكلَّم عن الجنَّة والنَّار فلا يُغيِّر من أحواله حالًا.

وكلُّ ذلك من الوقوف على صورة العلم دون حقيقته؛ كما ذَكر أبو الفَرَج ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فينبغي أن يكون مِن مَقصَد طالب العلم في دراسة العقائد أن تُوقِفَه على الحقائق الإيمانيَّة الَّتي تقرِّبه إلى المعارف الرَّبانيَّة؛ فتسمو بِها نفسُه، وتَقْرُب إلى ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. [شرح برنامج التعليم المستمر].

وَحْدَهُ»، قال: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ».

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سؤالًا آخر يتعلَّق بالإيمان فقال: (ما الدَّليل على أنَّ (الإيمان) يشمل الدِّين كلَّه عند الإطلاق؟) أي ما سبَق ذِكرُه مِن أنَّ اسم (الإيمان) كنظيرَيه (الإسلام) و(الإحسان) إذا أُطلِق الواحد منها دون ذِكر غيره دلَّ على الدِّين كلِّه، واندرج فيه غيرُه:

- فـ(الإيمان): اسمٌ للدِّين كلِّه.
- و(الإسلام): اسمٌ للدِّين كلِّه.
- و(الإحسان): اسمٌ للدِّين كلِّه.

وكلُّ واحدٍ منهما مع انفراده يندرج فيه غيره:

- فإذا ذُكِر (الإيمان) اندرج فيه (الإسلام) و(الإحسان).
- وإذا ذُكِر (الإسلام) اندرج فيه (الإيمان) و(الإحسان).
- وإذا ذُكِر (الإحسان) اندرج فيه (الإيمان) و(الإسلام).

فيقع (الإيمان) - كما تقدَّم وذكَر المصنِّف هنا - اسمًا للدِّين كلِّه، ويكون ذلك بمعرفة حقيقته الشَّرعيَّة بهذا المعنى.

فـــ(**الإيمان**) **شرعًا** هو التَّصديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا؛ تعبُّدًا له بالشَّرع المُنزَّل على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على مقام المشاهدة أو المُراقَبة.

فهذه الحقيقة الشَّرعيَّة الكاملة لـــ(الإيمان) يقع معها اسمًا للدِّين كلِّه؛ فيندرج فيه مراتبه الثَّلاث المشهورة: (الإسلام، والإيمان، والإحسان).

فقولنا: (التَّصـــديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا) يدلُّ على الاعتقادات الباطنة؛ وهي الَّتي تُسمَّى (إيمانًا).

وقولنا: (تعبُّدًا له بالشَّـــرع المنزَّل على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يدلُّ على الأعمال الظَّاهرة؛ وهي الَّتي تُسمَّى (إسلامًا).

وقولنا: (على مقام المشـــاهدة أو المراقبة) يدلُّ على إتقانهما؛ وهو الذي يُســـمَّى (إحسانًا).

والمسؤول عنه هنا هو طَلب الدَّليل على كَون اسم (الإيمان) إذا أُطلِق شَمل الدِّين كلَّه.

وأجاب عنه بقوله: (قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ وَفْدِ عبد القَيْسِ: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**») الحديث. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

ودلالته على ما قصده: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَهم بالإيمان، ثمَّ بيَّنه بما يدلُّ على اندراج الاعتقادات الباطنة والأعمال الظَّاهرة وإتقانِهما فيه؛ وذلك أنَّه قال: («**شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُـــولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّـــلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»)؛ فذكر مِن حقائق المأمورات الشَّـــرعيَّة: ما يتحقَّق به الإيمان؛ ممَّا يرجع تارةً إلى الاعتقادات الباطنة، ويرجع تارةً إلى الأعمال الظَّاهرة، ويرجع تارةً إلى إتقانِهما.

فإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكر في هذا الحديث ثلاثةً من أركان الإسلام؛ وهي الشَّهادتان، والصَّلاة، والزَّكاة، وجعلَها إيمانًا، وزاد عملًا آخرَ مِن أعمال الإسلام؛ وهو أداء الخُمُس مِن الغَنيمة - يعني في الحرب [١].

فجَعل اسم (الإيمان) شاملًا الاعتقاداتِ الباطنة، والأعمالَ الظَّاهرة؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ اسم (الإيمان) إذا أُطلِق يشمل الدِّين كلَّه.

---

(١) وقد ذَكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الدَّليل على ذلك من السُّنَّة؛ وهو (حديث وَفْد عبد القَيْس) في «الصَّحيحين» من رواية عبد الله بن عبَّاسٍ؛ وفيه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: («**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**»)، ثمَّ قال لهم: («**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**»)، **ثمَّ فسَّره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يشمل أمرين:**

- ✓ **أحدهما**: الاعتقادات الباطنة.
- ✓ **والثَّاني**: الأعمال الظَّاهرة.

والدِّين مَردُّه إلى هذين الأمرين.

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**») يرجع إلى الاعتقادات الباطنة.

وقوله: («**وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**») يرجع إلى الأعمال الظَّاهرة. **والمَغنم**: غنيمة الغزو. [شرح برنامج التعليم المستمر].

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما الدَّليل على تعريف (الإيمان) [١] بالأركان السِّتَّة عند التَّفصيل؟

ج: قولُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قال له جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخبِرني عن الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سؤالًا آخر يتعلَّق بالإيمان؛ فقال: (ما الدَّليل على تعريف (الإيمان) بالأركان السِّتَّة عند التَّفصيل؟).

ومراده بقوله: (عند التَّفصيل) أي عند اقترانه بـ(الإسلام) و(الإحسان)؛ فإنَّه إذا اقتَرن بِهما أو بأحدهما صار له معنًى خاصٌّ؛ وهو الاعتقادات الباطنة - كما تقدَّم.

ثمَّ أجاب عنه بقوله: (قولُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا قال له جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخبِرني عن الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ**») الحديثَ. رواه مسلمٌ مِن حديث عمرَ بن

---

(١) وهذا التَّعريف الَّذي ذَكره المصنِّف لا يُراد به ما تَواطأ عليه المَنْطِقِيُّون في صناعة المُعرِّفات؛ فإنَّ صناعة المَنْطِق والفلسفة لها قوانينُ تتعلَّق بالمُعرِّف، كما أشار إلى ذلك الأخضريُّ في «السُّلَّم المُنَوْرَق» بقوله:

مُعَرِّفٌ إِلَى ثَلَاثَةٍ قُسِمْ ... حَدٌّ وَرَسْمٌ وَلَفْظِيٌّ عُلِمْ

فهو لا يريد هذا المعنى، وإنَّما يريد التَّصوُّر والخبَر العامَّ عن الحقيقة الَّتي تتعلَّق بالإيمان؛ فذَكر أنَّ حديث جبريلَ مخبِرٌ عن ذلك بذِكر هذه الأركان. [شرح برنامج التعليم المستمر].

الخطَّاب بهذا اللَّفظ، وهو في «الصَّحيحين» أيضًا مِن حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وفي الحديث: الخبر عن (الإيمان) بالاعتقادات الباطنة؛ وهي أركانه السِّتَّة في قوله: («أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»)؛ فالحديث المذكور يُبيِّن أنَّ اسم (الإيمان) يكون للاعتقادات الباطنة إذا اقترن بـ (الإسلام) و(الإحسان)؛ لأنَّه في الحديث نفسِه سُئِل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن (الإسلام) و(الإحسان) أيضًا فقال فيهما ما قال.

فعُلِم أنَّ الأركان السِّتَّة الَّتي ذكرها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكون اسمًا لـ (الإيمان) باعتبار إطلاقه مُقترنًا بغيره.

فيُعلَم ممَّا سبق أنَّ (الإيمان) له معنيان:

- **أحدهما**: معنًى عامٌّ؛ يكون به (الإيمان) اسمًا للدِّين كلِّه؛ وهو المراد إذا أُفرِد ذِكرُه.

وحقيقته شرعًا - ما تقدَّم -: أنَّه التَّصديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا، تعبُّدًا له بالشَّرع المنزَّل على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على مقام المشاهدة أو المراقبة.

- **والآخر**: معنًى خاصٌّ؛ وهو المراد إذا ذُكِر (الإيمان) مقرونًا بـ (الإسلام) و(الإحسان)، وتقدَّم أنَّه الاعتقادات الباطنة.

---

(١) وإنَّما عَدَل المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن ذكر دليلٍ من القرآن؛ لأنَّه لم يأت في القرآن قطُّ قَرْنُ الأركان السِّتَّة جميعًا، وإنَّما جاء فيها خمسةٌ دون ذكر (القَدر)؛ فـ (القَدر) جاء مفرَدًا في القرآن الكريم، وإفرادُه لتعظيمِه. [شرح برنامج التعليم المستمر].

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليلها من الكتاب جملةً؟

ج: قال الله تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر].

وسنذكرُ إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ دليل كلٍّ على انفراده.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سؤالًا آخر يتعلَّق بالإيمان؛ فقال: (ما دليلها من الكتاب جملةً؟) أي ما دليل تلك الاعتقادات الباطنة - المتقدِّم ذِكرها في السُّؤال السَّابق - مِن القرآن على وجه الإجمال؟ (١)

---

(١) وإنَّما أخَّر المصنِّف دليل القرآن لِما وقع فيه من الانفصال بين ذِكر (القَدر) وبقيَّة الأركان، فقدَّم الحديثَ؛ لكمال جَمْعِه.

والأصلُ في ترتيب الأدلَّة: أن يُقدَّم الدَّليل القرآنِيُّ، ثمَّ يتبعه الدَّليل من الحديث النَّبويِّ، فإذا عَدَل أهل العلم عن ذلك فاعلمْ أنَّه لمعنًى.

كما اتِّفق في إيضاح رسالة «شروط الصَّلاة وأركانِها وواجباتِها» لإمام الدَّعوة محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؛ فإنَّه قدَّم ذكر الحديث الدَّالِّ على شرط دخول الوقت؛ ثمَّ قال: (ودليل الأوقات: قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[الإسراء:٧٨]) الآية؛ فأخَّر الآية لأنَّ الحديث أوفى منها في الدَّلالة

ثمَّ أجاب عنه بقوله: (قال الله تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة:١٧٧]) الآية، ثمَّ أتبعها بقوله تَعَالَىٰ: (﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]).

فهاتان الآيتان مشتملتان على ذكر الأركان السِّتَّة لـ(الإيمان)؛ الَّتي هي حقيقته فيما يتعلَّق بالاعتقادات الباطنة إذا قُرِن (الإيمان) بـ(الإسلام) و(الإحسان).

والآية الأولى ذُكِر فيها خمسةٌ مِن أركان الإيمان؛ هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر؛ وهذا هو الواقع في القرآن في غير موضعٍ؛ أن تُذكَر هذه الأركان الخمسة.

وأمَّا الإيمان بالقَدر فجاء مفرَدًا في آياتٍ عدَّةٍ؛ كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

ولم يقع ذِكر أركان الإيمان السِّتَّة في نَسَقٍ واحدٍ في القرآن الكريم مبيَّنةً مُوضَّحةً بأسمائها؛ وإلَّا باعتبار الحقيقة: فإنَّ الإيمان بالقدر يرجع إلى الإيمان بالله؛ قال زيدُ بنُ أَسْلمَ: «القَدر قُدرة الله» يعني يتعلَّق بصفة القُدرة الإلهيَّة الَّتي هي من الإيمان بالله.

فمِن صفات الله عَزَّوَجَلَّ: القُدرة، وأنَّه قادرٌ؛ فالإيمان بالقَدر يرجع إلى هذا.

وبه أجاب الإمام أحمدُ في «مسائل ابن هانئٍ»؛ لمَّا سُئِل عن القَدر؟ فقال: «القَدر

على المعنى المراد.

ومنه هذا الموضع؛ فإنَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قدَّم الدَّليل من السُّنَّة؛ لأنَّه أتمُّ في بيان المراد، وأخَّر دليل الكتاب لأنَّ أركان الإيمان السِّتَّة لم تأت في القرآن مقترنةً جميعًا، وإنَّما جاء فيه خمسة أركانٍ – كما في هذه الآية مِن سورة البقرة –، وجاء (القَدر) مفرَدًا؛ وإفراده دليلٌ على تعظيمِه. [شرح برنامج التعليم المستمر].

قُدرة الله».

واستحسن هذا الجوابَ أبو الوفاء ابن عقيلٍ، وبَسَط استحسانه وبيَّن معناه ابن تيميَّةَ الحفيد، وابن القيِّم في «شفاء الغَليل»، وفي «الكافية الشَّافية».

لكنَّ الأكمل في مقام البيان هو الذِّكر المفصَّل لأركان الإيمان وأنَّها ستَّةٌ، بدلالة الآية المذكورة مِن سورة البقرة مع ضمِّ غيرها إليها في ذِكر القَدر [١].

---

(١) وما ذَهب بعض المتكلِّمين في العقائد إلى أنَّ (القَدر) وقع مفردًا لأنَّه يرجع إلى الإيمان بالله؛ **وهذا فيه نظرٌ**؛ لأنَّ كلَّ ركنٍ من أركان الإيمان سوى الإيمان بالله يمكن رَدُّه إلى الإيمان بالله؛ فإنَّنا لم نؤمن بالملائكة ولا بالكتاب ولا بالرُّسل ولا باليوم الآخر ولا بالقَدر إلَّا تبعًا لإيماننا بالله، لكن ليس هذا هو المراد، فكلُّ ركنٍ من هذه الأركان مرادٌ لذاته، وليس تابعًا؛ فلو أنَّ إنسانًا آمَنَ بجميع الأركان، وكفر بالقَدَر: فإنَّه كافرٌ وليس بمؤمنٍ.

وإنَّما أُفرِد (القَدر) تعظيمًا له؛ فإنَّ العرب لم تكن تعرف هذا التَّقدير السَّابق الأَزليَّ؛ ولذلك كانوا ينسِبون ما يقع بهم إلى تصرُّف بعضِهم من الخَلق، أو تصرُّف غيبٍ لا يعلمونه، لكنَّهم لا يَعْقِلون معنى أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدَّر قدرًا سابقًا فهم في مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تقديره.

واكتنَف هذا أيضًا: الإشارةَ إلى ما سيقع مِن الفتنة به؛ فإنَّ أوَّل فتنةٍ أَخلَّت بحقيقة الإيمان هي فتنة القَدر عند البصريِّين؛ كمَعْبَدٍ الجهنيِّ وأتباعه.

فدَلَّ هذا الإفراد من التَّعظيم على الإنباء بالفتنة العظيمة الَّتي وقعت في صدر الإسلام؛ فإنَّ تلك الفتنة في حقيقة الإيمان ممَّا يتعلَّق بأركانه وقعت بـ (القَدر) قبل غيره. [شرح برنامج التعليم المستمر].